

240915 - هل يجب ذكر الله بالقلب مع كل نفس ، وفي كل لحظة ؟

السؤال

هناك سلسلة صوفية في باكستان تستدل بالآيات: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) ، و (وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) بأن ذكر الله واجب على مدار 24 ساعة ، وألا تضع ثانية واحدة في غير ذلك ، وأن الذكر محله القلب ، ولذلك كانت طريقة الحسن البصري الخاصة وهي ذكر "الله هو" مع تنظيم التنفس و ، هم يدعون أنه ورد في القرآن والسنة أن كل جزء من جسم الصحابة كان يذكر الله بشكل دائم ، فهل يجب على الشخص ذكر اسم الله في قلبه على مدار الساعة ؟ وما هو الذكر الكثير ؟ وهل هذه بالفعل طريقة الحسن البصري ؟ وهل يجوز فعلها ؟ وما معنى الآيات السابق ذكرها ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) الأحزاب/ 41، 42 .
فـ " يأمر تعالى المؤمنين ، بذكره ذكرا كثيرا ، من تهليل ، وتحميد ، وتسبيح ، وتكبير وغير ذلك ، من كل قول فيه قرينة إلى الله .

وأقل ذلك ، أن يلزم الإنسان ، أوراد الصباح ، والمساء ، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب .
وينبغي مداومة ذلك ، في جميع الأوقات ، على جميع الأحوال ، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل ، وهو مستريح ، وداع إلى محبة الله ومعرفته ، وعون على الخير، وكف اللسان عن الكلام القبيح .
" (وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) أي: أول النهار وآخره ، لفضلها، وشرفها، وسهولة العمل فيها " انتهى من " تفسير السعدي " (ص 667) .

وقال تعالى : (وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) الجمعة/ 10 .

قال ابن كثير رحمه الله :

" أَي: حَالِ يَبْعُكُمْ وَشَرَائِكُمْ، وَأَخَذِكُمْ وَعَطَائِكُمْ ، اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ، وَلَا تَشْغَلْكُمْ الدُّنْيَا عَنِ الَّذِي يَنْفَعُكُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ " انتهى من "تفسير ابن كثير" (8/ 123) .

وقال تعالى :

(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) الأحزاب/ 35 .

قال النووي رحمه الله :

" اعلم أن هذه الآية الكريمة مما ينبغي أن يهتم بمعرفتها صاحبُ هذا الكتاب [يعني : كتابه "الأذكار] .
وقد اختلف في ذلك؛ فقال الإمامُ أبو الحسن الواحدي: قال ابن عباس رضي الله عنه: المراد يذكرون الله في أدبار الصلوات ، وغدوًا وعشيًا ، وفي المضاجع ، وكلما استيقظ من نومه ، وكلما غدا أو راح من منزله ذكرَ الله تعالى .
وقال مجاهد: لا يكونُ من الذاكرين الله تعالى كثيراً والذاكرات ، حتى يذكر الله تعالى قائماً وقاعداً ومضطجعاً.
وقال عطاء: من صَلَّى الصلوات الخمس بحقوقها، فهو داخلٌ في قول الله تعالى: (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات).
وسئل أبو عمرو ابن الصلاح - رحمه الله - عن القدر الذي يصير به من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ؟
فقال: " إذا واطب على الأذكار المأثورة المثبتة ، صباحاً ومساءً، وفي الأوقات والأحوال المختلفة، ليلاً ونهاراً " انتهى من " الأذكار " (ص 41) .

ثانيا :

ليس في هذه الآيات - ولا في غيرها - ما يدل على وجوب ذكر الله تعالى في كل لحظة ، وكل ثانية ؛ فإن هذا أمر لا يكاد يطيقه أحد من البشر ، ولا كلف الله به عباده قط ، ولا صح أن الشريعة جاءت به ، ولا أمرت به .
وهذه كتب أهل العلم قاطبة ، من فقهاءهم ، ومفسريهم ، ومحدثيهم : فأين تجد فيها نسبة ذلك إلى شرع الله ؟!
وقد روى مسلم في صحيحه (2702) : عَنْ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّهُ لَيُعَانُ عَلَى قَلْبِي ؛ وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةً مَرَّةً) .
قال النووي رحمه الله في "شرحه" :

" قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : (الْغَيْنُ) ، وَالْغَيْمُ بِمَعْنَى [أي : واحد] ، وَالْمُرَادُ هُنَا مَا يَتَغَشَّى الْقُلُوبَ ، قَالَ الْقَاضِي : قِيلَ : الْمُرَادُ الْفَتَرَاتِ وَالْغَفَلَاتِ عَنْ الذِّكْرِ الَّذِي كَانَ شَأْنَهُ الدَّوَامَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا فُتِرَ عَنْهُ أَوْ غَفَلَ ، عَدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا ، وَاسْتَغْفَرَ مِنْهُ " انتهى .

ثالثا :

ما يذكره هؤلاء من أن كل جزء من أجزاء جسم الصحابة ، كان يذكر الله ؛ فهذا كله من الغلو الباطل ، الذي لا أصل له في شيء من تاريخ ، أو أثر ، وهذه سيرهم ، وأخبارهم بين أيدي الناس ؛ فأين يجد القارئ فيها ذلك ، إلا دعاوى هؤلاء وأمثالهم من الغلاة .

نعم ؛ كانوا خير الناس ، وخير قرن بعث فيه نبي ؛ لكنهم - أيضا - كانوا ناسا من الناس ، يأكلون ، ويشربون ، ويبيعون ، ويشترون ، ويخالطون النساء والأولاد .

بل : يختلفون ، أيضا ، ويختصمون !!

روى مسلم في صحيحه (2750) عَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسَدِيِّ رضي الله عنه ، وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ :

" لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ ؟

قَالَ : قُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ !!

قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ؛ مَا تَقُولُ ؟!

قَالَ : قُلْتُ : نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ !! فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ ، وَالْأَوْلَادَ ، وَالضَّيِّعَاتِ ، فَنَسِينَا كَثِيرًا ؟!

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا ؟!

فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ !!

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَمَا ذَاكَ ؟!

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ : عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ

وَالضَّيِّعَاتِ ؛ نَسِينَا كَثِيرًا ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي ، وَفِي الذِّكْرِ : لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ ، وَفِي طُرُقِكُمْ ، وَلَكِنْ

يَا حَنْظَلَةُ : سَاعَةً وَسَاعَةً ؛ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) .

قال القرطبي رحمه الله :

" وقول أبي بكر رضي الله عنه : (والله ، إنا لنلقى مثل هذا) : رد على غلاة الصوفية ، الذي يزعمون دوام مثل تلك الحال ، ولا

يعرجون بسببها على أهل ولا مال .

ووجه الرد : أن أبا بكر أفضل الناس كلهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى يوم القيامة ، ومع ذلك : لم يدع خروجاً

عن جبلة البشرية ، ولا تعاطى من دوام الذكر ، وعدم الفترة : ما هو خاصة الملائكة .

وقد ادعى قوم منهم دوام الأحوال ، وهو - بما ذكرناه - شبه المحال ...

وعلى الجملة : فسنة الله في هذا العالم الإنساني : جعل تمكينهم في تلوينهم ، ومشاهدتهم في مكابدتهم .

وسر ذلك : أن هذا العالم متوسط بين عالمي الملائكة والشياطين ، فمكن الملائكة في الخير بحيث يفعلون ما يؤمرون ،

ويسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ومكن الشياطين في الشر والإغواء بحيث لا يغفلون ، وجعل هذا العالم الإنساني متلونا ، ؛

فيمكنه ، ويلونه ، ويفنيه ، ويبقيه ، ويُشْهده ، ويُفْقدُه ، وإليه أشار صاحب الشفاعة بقوله : (ولكن يا حنظلة : ساعة وساعة)

، وقال في حديث أبي ذر - رضي الله عنه - : (وعلى العاقل أن يكون له ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب

فيها نفسه ، وساعة يفكر فيها في صنع الله ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب) .

هكذا الكمال ، وما عداه ترهات ، وخيال " .

انتهى من "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" للقرطبي (68-7/67) .

ومثل ذلك أيضا ، في البطلان ، والبهتان : دعواهم أن الحسن البصري رحمه الله كانت له طريقة خاصة في ذكر الله مع

أنفاسه : فلا دليل عليه ، ولا أصل له نعلمه.

والحسن البصري رحمه الله من المفترى عليه من قبل جبهة الصوفية والزهاد ، فإنهم ينسبون إليه ما لم يصح عنه ، بل ما لا يعرف عنه أصلاً .

وانظر جواب السؤال رقم : (201911) .

والله تعالى أعلم.